

ابن المنامة في أمضان رقارة

أ.د. عبدالله البهلول

إشراف: أ.د. عبدالله البهلول



ابن المنامة في أحضان رقارة



تونس 2024

تونس 2024

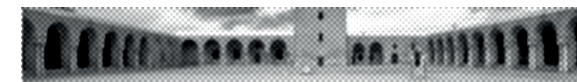
وفد علوي على الجامعة التونسية وله شعر مشهور، ونقد منشور، وقامة أدبية واعدة، وقد أدرك أن التعمق في علم الأدب يفتقر إلى الإلمام بمناهج البحث فيه، وحذق قواعد نقده الموضوعية، وأن تعاطي الإبداع الأدبي، حتى مع مواكبة حركاته، وحسن تذوقه لا يكفي في غياب حذق العلم به وإتقان نقده (...) علوي رجل كريم، وعلى خلق عظيم، طيب النفس، حسن المعاشرة، صافي النية، صادق الود، باسم، بشوش، عرف بروحه المرححة، ونكتته الحاضرة (...) كان متواضعا، ينكر الذات، ويعترف بالجميل، ويتسامح. هو ابن البحرين في أطراف الخليج، الهيمان بتونس، الدائرة في فلك المحيط. تعلّقها إلى حدّ العشق، لا يغيب عن مهجته ولسانه الدعاء لها " الله يحفظ تونس " كلّما ذكر إسمها أمامه، ولا سيّما إذا هدّدها مكروه

الأستاذ الدكتور محمد الهادي الطرابلسي



من جميل الخصال التي عُرف بها علوي حبّه العميق لتونس. فهو إذا وقف على عظيم مكتسباته في مسيرته الحافلة بالرحلات، المليئة بالتشريفات، أجاب غير متردّد: إن تونس أحبّ آفاق البلاد إليه، بها نال كريم المطلب: تكويننا منهجياً ونقداً علمياً وحذقاً لأساليب البحث. وما فتئ يذكر بفضل أساتذة الجامعة التونسية عليه، مُبدياً لهم عظيم التقدير والتبجيل، مجدّداً بهم العهد، حافظاً لهم الودّ، كاشفاً عن معدن أصيل، ممثلاً مملكة البحرين أحسن تمثيل.

الأستاذ الدكتور عبدالله البهلول



ابن المنامة في أمضان رقارة



ابن المنامة في أحضان رقادة

ابن المنامة في أحضان رقادة

إشراف: أ.د. عبدالله البهلول

تونس

2024

العنوان: ابن المنامة في أحضان رقادة
إشراف: أ.د. عبدالله البهلول
المطبعة:

الإيداع القانوني:

الطبعة الأولى، أبريل 2024

التّقييم الدّوليّ: ISBN:

تقديم

علوي الهاشمي - ابن المنامة - أستاذ باحث نال شهادة دكتورا الدولة في اللغة العربية وأدائها سنة 1986، بأطروحة عن (تجربة الشعر المعاصر في البحرين 1930-1980 دراسة في البنية والأسلوب)، وناقشته لجنة تكوّنت من الأستاذ القدير عبد القادر المهيري - طيّب الله ثراه - رئيساً، والأستاذ الجليل محمد الهادي الطرابلسي - أمد الله في أنفاسه - ومتمّعه بموفور الصحة - مشرفاً، وبعضوية الأستاذة الأفاضل الطيّب العشاش - رحمه الله -، وحمادي صمود، وعبد السلام المسدي - أمد الله في أنفاسهما - وقد نشر علوي أطروحته في كتاب عنوانه (السكون المتحرك دراسة في البنية والأسلوب، تجربة الشعر المعاصر في البحرين نموذجاً)، في ثلاثة أجزاء: بنية الإيقاع (1992) وبنية اللغة (1993) وبنية المضمون (1995).

من جميل الخصال التي عُرف بها علوي حبُّه العميق لتونس. فهو إذا وقف على عظيم مكتسباته في مسيرته الحافلة بالرحلات، المليئة بالتشريفات، أجاب غير متردد: إنّ ما اجتناه في تجربته التونسية لمن أعظم ما يجتنيه الباحثون: تكويننا منهجياً ونقداً علمياً وحذقاً لأساليب البحث وحرصاً على الإضافة واقتداراً على فتح جديد الآفاق. وإنّ تونس منحت وجوداً جديداً، فهي أحبّ آفاق البلاد إليه، فيها نبئت العزّ، وبها نال كريم المطلب. فكان إذا ذكرها دعا الله أن يحفظها ويحقّق عظيم مطامحها. وما فتى علوي يذكر بفضل أساتذة الجامعة التونسية عليه، مُبدئاً لهم عظيم التقدير والتبجيل، داعياً إليهم - في ما أتيج من مناسبات، وما توافر من إمكانيّات - إلى قاعات البحث والتدريس في البحرين، مجدّداً العهد، حافظاً الودّ، مبادراً بالجميل، كاشفاً عن معدن أصيل، ممثلاً مملكة البحرين أحسن تمثيل.

وقد احتفى به في سهرة خاصّة ثلّة من الأساتذة بمناسبة حضوره برقادة - القيروان. وأشرف الأستاذ عبدالله البهلول على إصدار مجموع يضمّ أعمالهم إهداءً له. والشكر الجزيل موصول إلى الأساتذة الأجلاء وأصدقاء علوي الأصفياء الذين رحبوا بفكرة الاحتفاء وقدّموا كلماتهم الطيبة ومداخلاتهم القيّمة التي توزّعت بين شهاداتٍ وقراءاتٍ في المنجز العلوي وبحوثٍ مهداة. وبعد، فهذا الكتاب مولود جديد، إن خفّ وزنه فقد ثقل رمزه، وهو ينتظر إخوته....

القسم الأول

شهادات

علوي ابن المنامة في أحضان رقّادة

الأستاذ العميد محمد الهادي الطرابلسي- الجامعة التونسية

التقيت علوي الهاشمي بتونس العاصمة لأول مرة من حوالي خمس وأربعين سنة، بدار الثقافة "ابن خلدون" - إذا لم تخيّ الذاكرة - حيث عقد مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ندوة علمية كنت من المشاركين بالبحث فيها، وذلك قبل أن أتولّى الإشراف على أطروحته التي نال بها شهادة دكتورا الدولة باقتراح من أستاذنا الدكتور عبد القادر المهيري، مدير قسم اللغة العربية وأدائها، رحمة الله عليه.

ومما أذكره أنّ علوي في زيارته الأولى تونس كان مرفوقا بصديقه الفاضل أحمد المناعي، شيخ الأدباء بالمنامة، رائد الثقافة، صاحب مجلس الإثنين الأدبي، وقد فتح غرفة في بيته لاستقبال المثقفين من أعلام البحرين والوافدين المقيمين. لم يخف عني الصديق الجديد، الوافد على تونس من بعيد - بعد أن أصبح من المنتسبين إلى الجامعة التونسية - انهياره بتونس، وسروره بفرصة الإقامة بها لإعداد أعلى شهادته العلمية بجامعة العتيدة. وقد لفتت نظره ظواهر مميزة لتونس، أكتفي في هذه الشهادة ببعض ما ذكره لي منها، وبقي دائم اللّهج به: أول الظواهر غرابة معمار نزل البحيرة -الحديث التشييد في ذلك الوقت - "الهرم المقلوب" كما يحلو لي أن أسميه - شُيّد عام 1973 عن تصميم مهندس إيطاليّ على ضفاف بحيرة العاصمة بملتقى شارع الحبيب بورقيبة وشارع محمد الخامس، وأظنّ أنّ علوي نزل به مع شيخ أدباء المنامة، حيث أقاما به ما أقاما. استوقفه معمار الفندق، إذ كان كما لو أنّ قمّته مغروسة في الأرض، وقاعدته مُسرّعة في أعنان السماء، في شكل هندسيّ تخاله يدعو الناظر إلى قلب النظر إليه - أو على الأصحّ، تقليب النظر إليه - أو تغيير الموقع للتأمل فيه، عسى أن يدرك كنهه ويكشف سرّه.

واكتشفت - بعد تمّثّن العلاقة بيني وبين الصديق المكرّم وحديثي معه في بدايات تكوينه - أنّه تعلّم التجارة، ومبادئ الهندسة، واهتمّ بالجماليّات، حتّى أصبح له حسنّ مرهف ومتابعة مستمرّة للفنون التشكيلية، إلى جنب قوله الشعر، ومطالعتة ما ينظم غيره من الشعراء، وولعه بالجماليّات وتوظيف الأصوات في الكلام، ممّا ساعده - عندما تقدّم في عالم المعرفة - على صولاته في بحث الإيقاع، وجولاته في اكتشاف قيمه الدلالية، لأنّ الأشكال الهندسيّة ترجع إلى تركيبات إيقاعية، علما أنّ الإيقاع في الكلام عندي، وفي مختلف مظاهر الحياة، هندسة. برهنتُ عليها شخصيّا بالنظر والتطبيق مستفيدا من مناقشتي محمود المسعدي في كتابه "الإيقاع في السجع العربيّ". فلذلك لم أستغرب موقف علوي من شكل الفندق "المقلوب"، وقد لمست أثر ثقافته الفنيّة في تحليله الشعر بعد ذلك في أطروحته، حيث ناقش أساليب الإيقاع وجماليّاته التي يقود إليها درس الأساليب.

وإني لأرى أنّ تغيير المواقع وتنويع زوايا النظر لكلّ أثر، بقدر مايمثّلان عمليّتين ضروريّتين لدرس رسوم الفنّ في اللّوحات المختصّة كما في المساحات العامّة، يعتبران ضروريّين لدرس القصيدة قديمة كانت أو حديثة، فما بالك إذا شفع الدرس بالتأمّل في الإيقاعات. وفي بحثي "تقليب النصّ/ ما تحتمله القصيدة" تعميق لهذه الفكرة. وهذا بعض ما جاء فيه "من الظواهر الإبداعية التي بنيت عليها مواقف نقدية والتي لا يمكن فهمها حقّ الفهم والاستفادة منها في درس الشعر إلّا بتغيير المواقع، مفهوم "بيت القصيد". فهذا المفهوم له معنى الوحدة الكلاميّة التي فيها يُجمع المعنى ويتجوهر القصد أو في مستواها يبلغ النصّ قمّة الإبداعية، وذلك دليل على أنّ مركز الثقل في النصّ ليس له موضع محدّد في القصيدة، وأنّ اكتشافه يتطلّب تقليب النظر من عديد الزوايا. ومثل ذلك مفهوم "مقاطع الأبيات"، ويُقصد بها الكلمات الختامية التي تُقطع أبيات الشعر عندها، فهي أواخر في الترتيب إلّا أنّها أوائل في التقدير، ذلك أنّها على عكس الظاهر لا تبني على الأبيات بل تبني الأبيات عليها، بحيث يكون الاتّجاه السويّ في نقد البيت، السير من مقطعه (آخر كلمة في البيت) إلى مطلع (أول كلمة تتصدّره).

إنّ تنويع المواقع فيما قلنا هو السبيل الوحيد المسوّغ - عند توقّر القرائن - لاعتبار الأوّل آخر وآخر أوّل، ولقلب اليمين يسارا واليسار يمينا، بل للدخول إلى

الأثر الفني من وسطه حيث يمكن إقامة باب جديد يفتح عليه غير الباب الرئيسي المخصّص له.

والظاهرة الثانية التي لفتت نظر علوي في تونس منذ أن حلّ بها، حضور المرأة المستبدّة في المجتمع بسوق العمل، وسوق العلم. فهي تهيمن على الحياة وتشارك الرجل في كلّ شيء، لا تقبل منه إقصاء ولا تقصيه، تفرض عليه المناصفة ولا تلغيه، بحقّ اكتسبته من تاريخ تونس القديم في عهد أزوى القيروانية وقصّة الصداق القيرواني في القرن الثالث الهجريّ، حتّى تاريخ تونس الحديث، بموجب صدور "مجلّة الأحوال الشخصية" مباشرة عقب نيل تونس استقلالها السياسي وقبيل إلغاء الملكيةّ بها وإعلان الجمهوريّة، بجهود الحبيب بورقيبة، باني تونس الحديثة. رأى علوي المرأة التونسية في سوق العمل تبيع وتشتري، وفي الإدارة تأمر وتنهى، وهي - إن اقتضت الضرورة - تنوء بالعبء الثقيل، وتتحلّى بالصبر الجميل، وبالجملّة هي تتحمّل المسؤولية وتؤدّي الأمانة. هي من أفراد العائلة، لا عالة على أيّ فرد من أفرادها.

أمّا في دور الثقافة، فكما خالط علوي الأدباء خالط الأديبات، وكنّ كثيرات: روائيّات وشاعرات، ناقدات وصحافيّات. عرّف بأدب البحرين وبالحركة الثقافية بها، وتعرّف عن كُتب الواقع الأدبيّ بتونس، أعلامه وأعمالهم. حاور. ناقش ونوقش، وقد احتضنته المجالس الأدبيّة، والمقاهي الثقافيّة، وقاعات العرض والمجالس العامّة.

وأما في الجامعة فقد تردّد على الندوات، وجال بالمكتبات، واحتكّ بالقامات، مؤثرا ملازمة صفوف الطلبة والطالبات. وقد أكبر في الجامعة جهود أسرتها في الازدواج اللغويّ المتمثّل في إتقان اللغة العربيّة، كتابة ومخاطبة، وحذق اللسان الفرنسيّ وتفعيله في التعلّم والتعليم إلى جنب العربيّة، حتّى كتابة البحث به إن اقتضى الظرف، ومناقشة الأجنبيّ به في أدبه وعلمه، وفيما يكتبه، مع كفاءة لدى الأستاذ والطالب في الانتقال من لسان إلى آخر بحسب المقام، وتعويل في الدرس والبحث على الترجمة وإتقان تقنيّاتها. إنّ الازدواج والتعدّديّة في تونس ظاهرتان مثمّرتان سواء في الحياة أو الخطاب أو الثقافة. هما ازدواج وتعدّديّة من مستوى راق، دون خلط الأوراق.

والظاهرة الثالثة التي استرعت انتباه علوي في تونس، وولدت بنفسه التعلّق بها، واختياره إعداد أعلى الشهادات العلميّة بجامعتها، هي ثقافة المنهج المسيطرة على العلم والبحث في شتّى مجالات المعرفة. فقد وجد أنّ للشرط المنهجيّ أولويّة على كلّ مسالك العلم والعمل. واقتنع بذلك عندما علم أنّ الطالب في أيّ اختصاص ينخرط فيه، أوّل ما يطالب به، يطالب بحذق أساليب البحث، واجتياز العقبة المنهجية.

وإنّ ثقافة المنهج لتأصلّة في تونس بفضل فكر ابن خلدون في القديم، وجهود المفكرين اللاحقين الذين أضافوا إليه ما استثمروه من أدبيّات العقلانيّة والفكر الحيّ في العصر الحديث، حتّى أصبح المنهج لدى رواد الجامعة التونسيّة اختياراً لا شعاراً، هو اختيار لأقوم المسالك لضمان التمسّي العلميّ في مباشرة الأدب بالنقد، وليس شعاراً يُرفع ذريعة تُتقى بها سهام النقد.

وفد علوي على الجامعة التونسيّة وله شعر مشهور، ونقد منشور، وقامة أدبيّة واعدة، وقد أدرك أنّ التعمّق في علم الأدب يفتقر إلى الإمام بمناهج البحث فيه، وحذق قواعد نقده الموضوعيّة، وأنّ تعاطي الإبداع الأدبيّ، حتّى مع مواكبة حركاته، وحسن تذوّقه لا يكفي في غياب حذق العلم به وإتقان نقده. انخرط في الجامعة التونسيّة في زمن ما يزال المزج بين علم الأدب وعمل الأدب يسود في كثير من الجامعات الشرقيّة، فتخلط الأوراق بين النقد المنهجيّ والنقد الانطباعيّ.

وأما في الجامعات المرموقة فيُميّز بين كلّ من المشغلين، حيث يتوقّف نيل الشهادات العلميّة التي تسندها في الأدب على التكوين المنهجيّ والنقد العلميّ، وفي لجان الانتداب والتوظيف لشغل خطط التعليم العالي والبحث العلميّ، يُقتصر في النظر على الوثائق العلميّة، ويكتفى في التعامل مع الكتابات الإبداعية بأخذها في الاعتبار من زاوية النشاط الثقافيّ التكميليّ، دون اعتبارها وازنة في التقييم.

وأما تعاطي الأدب خارج الجامعة فنشاط حرّ. فيه ذوقية وانطباع وذاتية، وأحياناً موضوعيّة، لم لا؟ بل قد يُجازى الأديب عليها بجوائز سنّية، حتّى بجائزة نوبل، نعم! دون أن يضمن له ذلك استحقاق شهادة علميّة.

لم تكن الموضوعيّة في الجامعات التي مرّ بها علوي مبدأً واضح المعالم، بدليل أنّه كان يُرخص فيها مثلاً للطالب الباحث أن يدرج شعره هو- إذا كان شاعراً - في

مدوّنته من الشعر المعاصر الذي يشتغل عليه، ويؤاخذ على تغييره، مع ما يعني ذلك من إخلال بأبرز القواعد المنهجية، ألا وهو مبدأ الموضوعية.

أدرك علوي بعد أن أقام بتونس في سنته الأولى أنّ للعلم حرمة، وللمنهج حكمة، وأنّ تعاطي الأدب، وحتى التآلق فيه لا يصيّران الطالب باحثاً ثبتاً فيه، بخلاف العلم به، وإتقان نقده على أساس معرفي متين، وحذق منهجي مكين.

ناقش أطروحته في دكتورا الدولة، كتاب العمر - كما أسميها - عام 1986 بعنوان " تجربة الشعر المعاصر في البحرين: البنية والأساليب" وطبعها بعنوان "السكون المتحرك" في ثلاثة أجزاء. نُشرت بعناية اتحاد كتّاب الإمارات، بين 1992 و1995، الجزء الأول بعنوان بنية الإيقاع، والجزء الثاني بعنوان بنية اللغة، والجزء الثالث بعنوان بنية المضمون.

وليس تغييره عنوان الأطروحة - وقد طال نصّه الأصلي - من صبغته الأكاديمية الدقيقة إلى صبغة تحليلية عند الطبع، لغايات تجارية بل لتهوين خطب الطول، ومراعاة لمقتضيات إخراج محاورها الرئيسية في أجزاء ثلاثة مستقلاً بعضها عن بعضها الآخر، تيسيراً لتداولها واستعمالها، وخاصّة للكشف بالعناوين الفرعية عن مجالات إضافاتها المكنونة.

وقد ناقشها أمام لجنة برئاسة العلامة الدكتور عبد القادر المهيري، أستاذ الجماعة - طيّب الله ثراه - وبمشاركتي طبعاً باعتباري مشرفاً وعضوية الأساتذة الدكاترة: الطيّب العشّاش رحمه الله، وعبد السلام المسدي، وحمّادي صمّود، أمدّ الله في أنفاسهما.

وإذ أوكد في هذه الشهادة إضافات المؤلف فيها للعلم والمنهج، فإنّ الذين اطّلعوا عليها واستفادوا منها، منذ صدورهما، من نحو ثلاثين سنة، يشهدون كما سيشهد من يعود إليها بعد الثلاثين، بفوائدها الجمّة، وإن بقيت في بعض جوانبها مدعاة لمزيد النقاش في المسائل التي تناولتها بالدرس. وممّا يدعم ذلك أنّ علوي نال بفضلها عند طبعها جائزة أحمد زكي يماني الثقافية في نقد الشعر.

ولي طرفة لا بدّ أن أسوقها في هذا الصدد، وقد تعلّقت بظروف المناقشة. وللتذكير فإنّ مناقشة الأطارح بجامعتنا تتمّ عادة في طقس حارّ، بداية الصيف أو بداية الخريف، وما كانت كليتنا مجهزة بأجهزة التكييف شأنها في ذلك شأن سائر

الكلّيات، وأكثر الإدارات، وحتى بعض الوزارات في ذلك الوقت. لاحظ علوي ذلك بمناسبة المناقشات التي شهدها، فجلب إلى تونس، عند عودته من إحدى سفراته إلى الخليج جهازي تكييف، قدّر أنّهما يكونان خير هديّة يقدّمها للكلية اعترافاً بالجميل حتّى تلتفّ بهما أجواء قاعة المناقشات. وسارني بعد ذلك بمدة طويلة أنّه لم ينجح في مسعاه، لأنّ أعوان الديوانة حجزوا الجهازين، وتعدّز عليه إقناعهم بحسن قصده من توريدهما. وما كان التكييف في ذلك الوقت قد دخل في عاداتنا، ولا كانت سوقنا تتوفّر على أجهزته بسهولة، ولا ميزانية كليتنا - لو توفّرت الأجهزة بالسوق - تسمح لنا باقتنائها، فضلاً عن أنّها في حكم الكماليّات. والحقّ أنّ طقسنا بتونس ليس بمستوى حرارة الخليج حتّى نقيم حياتنا في الصيف على التبريد.

علوي رجل كريم، وعلى خلق عظيم، طيّب النفس، حسن المعاشرة، صافي النيّة، صادق الودّ، باسم، بشوش، عرف بروحه المرحّة، ونكتته الحاضرة. كنّا زمن البحرين نتحدّث يوماً عن صديقنا السوريّ، زميلنا الأستاذ الدكتور عبد الكريم حسن المختصّ في "الموضوعاتية"، وكان علوي إذا اختصر معرفّات الأصدقاء والأحبّاء، اقتصر على ذكر الاسم الشخصيّ، وسكت عن باقي المعرفّات، فقلت له: فلننتظر الدكتور حسن! فقال: من حسن؟ فقلت الدكتور عبد الكريم، أليس هو "حسن"؟! فصحّح على الفور مؤكّداً: بلى، هو حسن جدّاً!

كان متواضعاً، ينكر الذات، ويعترف بالجميل، ويتسامح. كان يتتبّع أخبار تونس، وبلغني أنّه لا يزال مداوماً على تتبّعها. هو ابن البحرين في أطراف الخليج، الهيمان بتونس، الدائرة في فلك المحيط. تعلّقها إلى حدّ العشق، لا يغيب عن مهجته ولسانه الدعاء لها "الله يحفظ تونس" كلّما ذكر اسمها أمامه، ولا سيّما إذا هدّدها مكروه.

أكّرم بشهادتي هذه الأستاذ الدكتور علوي وهو المبادر بالتكريم، فقد سبق إلى تكريمي بأنّ جمع حولي بجامعة البحرين لجنة تحرير مجلّة "ثقافات"، من أعضاء هيئة التدريس بقسم العربيّة يوماً، دعاهم إلى محاورّة علميّة نظمها تحيّة لي وتوديعاً، وقد أشرف هو على إدارة النقاش وقد استغرق نحو ثلاث ساعات وحام حول شخصي وأعمالي في التدريس وبحث الأساليب، مشروعي الفكريّ، ومنشوراتي... وذلك في آخر مدّة إقامتي بالبحرين، ربيع 2002 كنت ليّيت فيها دعوة

جامعة البحرين لزيارتها، في إطار التعاون الفني للتدريس لمدة فصل دراسي. وقد نُشر نصّ المحاور بالعدد الرابع من مجلة ثقافات الفتية من صفحة 151 إلى صفحة 165، بعناية علوي رئيس تحريرها نفسه، الساهر على شؤونها الكبيرة والصغيرة، جازاه الله عني خيرا. وقد كنت عرفت بمجلة ثقافات ونوّهت بها في كلمة نشرت لي بالصحافة البحرينية مباشرة إثر صدور عددها الأول، ومما قلته في تقديم هذا العدد "إنّ صدور العدد الأول من مجلة ثقافات، في غضون شهر فيفري 2002 حدث عظيم الشأن، عميق الدلالة. وسيكون له - فيما أعتقد - بالغ الأثر في الحياة الثقافية بالبحرين وبالعالم العربيّ عموما، وخارج حدوده أيضا، لا في نفوس رواد العربية من المفكرين والمبدعين، كتابا وقراء فحسب، بل في نفوس جميع رواد الثقافة الحية مهما كانت اختصاصاتهم، واختلاف مشاربهم، لأنّها مجلة واسعة الأفاق، إن كانت تنطلق من واقع الثقافة العربية، فهي تنطق باللسنة مختلفة لتعبّر عن واقع الثقافة من حيث هي جوهر خالص، لا يعرف حدودا ولا قيودا. إنّ هذه المجلة تبني جسرا واصلا بين ثقافات العالم المتفاعلة، وتبشّر بفكر حرّ، ونزعة إنسانية، وتحمل رؤية مستقبلية بناءة للحياة الأدبية الفنية، والعلمية والفكرية. ليست هي قناة نشر إضافية بقدر ما هي مشروع في الإبداع جديد. إنّ ثقافات - باختصار - موقع إضافات.

...في هذا العدد الأول من ثقافات تصدير بقلم الأستاذ الدكتور علوي الهاشمي، رئيس تحريرها، كشف فيه عن مشروع ثقافات الفكريّ بين الحلم والواقع، كالسدّ العالي، إذ:

كان حلما، فهاجسا، فاحتمالا ثم أضحي حقيقة، لا خيالا.

علوي، يابن المنامة!

سعدنا بلقائك اليوم برقادة/الفيروان، كما سعدنا بلقائك زمانا بمنامة/البحرين. وإنّ بين المنامة ورقادة لصلة متينة بين الإسمين، فبين المرجعين، لا بدّ أنّك فكّرت فيها. وما يزيد هذه الصلة متانة أنّك بمغادرتك المنامة وحلولك برقادة تؤكّد أنّك تحمل المكانين في نفسك، ففي شخصك يتوحدان ويُجمع الزمان، فلعلّك علمت أنّه، رغم الفوارق، هما اثنتان كواحدة، فرقادة تقع في الغرب العربيّ الإسلاميّ، والمنامة تقع في أقاصي شرقه.

أما رقّادة، وليدة القيروان، فمدينة أغلبية، كانت أسّست على بعد عشرة كيلومترات جنوبيّ غرب عاصمة الأغالبة، أسّسها إبراهيم بن الأغلب سنة 264 هـ. في سهل فسيح، كثير البساتين، تاريخها ثابت، ومن المؤكّد أنّ ما يخبر به تاريخها بعيد عن الأساطير، قالوا: تتفق المصادر على أنّها سمّيت رقّادة، لأنّ الأمير الأغلبيّ أرق، فنصحه إسحاق طبيبه بارتياح المواضع لعلّه ينام، فلم يجد النوم إلّا بموضعها، فسمّيت رقّادة، إذ لم يكن بإفريقية (البلاد التونسية) أطيب هواء، ولا أعدل نسima، وأرقّ تربة منها. كانت مركزا لحضارة عربيّة إسلاميّة مزدهرة، وبها أسّس "بيت الحكمة".

وأما المنامة فعاصمة أرخبيل البحرين في الخليج العربيّ، أسّست في القرن الثامن الهجريّ، إلّا أنّها طبق الأساطير، وريثة دلمون (بكسر الدال Dilmun) أسطورة الخلق منذ خمسة آلاف سنة. قيل هي الأرض التي تشرق الشمس منها، وقد حبّتها الآلهة بوفرة المياه العذبة، هي الأرض المفضّلة لحياة أبدية، فضلا عن أنّها مركز العلم، وقمة الحضارة. ولقد تعلّقت بتسمية المنامة بهذا الاسم روايات، أولاها أشهرها، وأقربها إلى داعي تسمية رقّادة بهذا الاسم. فقد جاء فيها أنّ أحد الولاة كان معجبا بالمنطقة، وكانت محبّة إليه يقصدها بين فترة وأخرى لينام فيها، ويجد بها الراحة والسكينة، وكانت أهميّة هذا المكان ترجع إلى موقعه على شاطئ البحر في الساحل الشماليّ الغربيّ من الجزيرة حيث تهبّ نفحات النسيم العليل. ولهذا أطلق اسم المنامة على هذه المنطقة نسبة إلى مكان نوم الوالي فيها. ويطيب لي أن أختم تكريمي لشخصك الكريم بإهداءك "أنشودة دلمون" - وهي أنشودة سوميريّة - مع مُركّز تحليلي نصّها وقد قفّلت بهما تقديمي للعدد الأوّل من مجلّة "ثقافات".

أما أنشودة دلمون فهذا نصّها:

دلمون أرض مقدّسة، أرض طهور،
على أرض دلمون المقدّسة الطهور،
لم ينعب الغراب.. ولم يفترس الأسد،
لا أحد يمرض.. ولا أحد يقول:
"عيني تؤلمني.. رأسي يوجعني"